

تأملات في سورتي النور والحجرات (الحلقة 17)

للشيخ المجاهد خالد باطرفي(حفظه الله)



المدة:00:11:11ساعة
انتاج: مؤسسة الملاحم
تاريخ النشر: جمادى الأولى 1442 هـ





نصُّ إصدار: تأملات في سورتي النور والحجرات (الحلقة السابعة عشر) للشيخ خالد باطرفي (حفظه الله).

المدة: 00:11:11 ساعة.

تاريخ النشر: جمادى الأولى 1442 هـ.

إنتاج: مؤسسة الملاحم.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا)

(النور: 82)



الشيخ خالد باطرفي (حفظه الله): بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن مُحَّمداً عبده ورسوله.

نكمل معاً تأملاتنا في سورة الحجرات، وفي هذا الدرس إن شاء الله سنتكلم ونتأمل في قول الله سبحانه وتعالى (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ**

وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ).

قال ابن عطية -رحمه الله-:" وقصد هذه الآية التسوية بين الناس، ثم قال تعالى (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) أي لئلا تفاخروا. ويريد بعضكم أن يكون أكرم من بعض. فإن الطريق إلى الكرم غير هذا. (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)". انتهى.

فإذاً الفخر والكرم ليس بالنسب ولا بالمال ولا باللون ولا بالجمال. ولا غير ذلك مما يتفاخر الناس به اليوم. إنما الكرم والتفاضل بالتقوى. بفعل الطاعات وترك المنكرات. والناس في ذلك يتفاضلون فأكرم الناس عند الله سبحانه وتعالى أقربهم وأكثرهم تقوى. فمن أراد أن يعرف منزلته عند الله سبحانه وتعالى فلينظر مقدار التقوى عنده. لأن الله يقول (إن أكرمكم عند الله أتقاكم). فميزان الكرم عند الله سبحانه وتعالى هو التقوى.

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من التفاخر فيما بيننا بالجاهليات. وحثنا عليه الصلاة والسلام على التفاضل والتكارم بيننا بالتقوى. فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب بمكة يوم الفتح. فقال: "يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبيّة الجاهلية وتعاظمها بأبائها. فالناس رجلان، رجلٌ برٌ تقي كريمٌ على الله. وفاجرٌ شقي هينٌ على الله. والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب".

فالناس رجلان كما ذكر النبي ﷺ: رجلٌ برٌ تقي حتى ولو كان عبداً أسود. رجلٌ برٌ تقي حتى ولو كان ليس له نسب. حتى ولو كان ذميم الخلقة. حتى ولو كان ما كان، إذا كان براً تقياً فهو كريمٌ على الله.

وفاجرٌ شقي حتى ولو كان من أعلى الناس نسباً. من آل بيت رسول الله ﷺ. ولكنه فاجرٌ شقي أو كان من أجمل الناس صورة. أو كان من أكثر الناس مالاً فهو هينٌ على الله إذا كان تاجراً شقياً.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ فقال: "أكرمهم عند الله أتقاهم"، قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال:" فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله"، قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال:" فعن معادن العرب تسألوني؟" قالوا: نعم. قال : "فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إن فقهوا".

شرط إذا كان الرجل من خيار الناس في الجاهلية فهو من خيار الناس في الإسلام إذا تفقه في دين الله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم. ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم". لا ينظر إلى صوركم. حسنة أو قبيحة. ولا ينظر إلى أموالكم كثيرة أو قليلة. إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. فالتقوى كما ذكر النبي ﷺ في الحديث "التقوى ها هنا". ويشير إلى صدره ثلاثاً. فالتقوى في القلب. فإذا كان القلب مليئاً بتقوى الله سبحانه وتعالى فهو أقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

تقوى الله كذلك والأعمال، ينظر الله سبحانه وتعالى إلى الأعمال. فتقيٌ بلا عمل لا يصلح، لا بد أن تصاحب التقوى، تقوى الله سبحانه وتعالى العمل.

فلا يصلح أن يقول الإنسان أنا أتقي الله عز وجل ثم يترك العمل.

وعن أبي هريرة ﵁ أيضاً قال رسول الله ﷺ "ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه". أي يوم القيامة في الميزان، في الدرجات، في القرب من الله سبحانه وتعالى، في دخول الجنة "من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه".

وعلى المسلم، الواجب على المسلم، أن يكون ميزان قرب الناس منه ومحبته لهم تكون بحسب تقواهم، فإذا كان أتقى فهم أقرب إلى الله سبحانه وتعالى. وإذا كانوا أقرب إلى الله سبحانه وتعالى بفعل الخيرات بفعل الطاعات وترك المنكرات فلابد أن يكونوا هؤلاء أقرب إليه.

لا يكون القرب والمحبة. يعني ميزان المحبة والقرب عند المؤمن يكون بالجمال أو بالمال أو بالنسب أو بحسن المعشر دون وجود التقوى، فكل هذه في ميزان في ميزان الله سبحانه وتعالى، ليس لها شأن إلا بالتقوى.

وإذا كان ميزان الناس في المحبة والقرب هو تقوى الله سيكون ذلك سبباً في صلاح المجتمع. وإحياء القيم الإسلامية فيه وإماتة كثير من العادات والسلوك المخالفة للشرع والتي انتشرت بين أوساط المسلمين. وبسبب هذا الميزان سينتشر التواضع وخفض الجناح بين أفراد الأمة الإسلامية.

وبهذا نعود إلى الخيرية التي كنا عليها والاستعلاء على الأمم، على جميع الأمم. وبهذا أيضاً، هذا السلوك، دعوة عظيمة للأمم الأخرى التي تعيش في جحيم العنصرية والتمايز فيما بينهم.

هذه أمريكا. والتي تتكلم عن القيم وعن المبادئ وعن المساواة وعن الحرية (ووو...)، والتي للأسف الشديد هي قدوة كثير من أبناء المسلمين ممن يتكلمون بلغتنا ويعيشون بيننا، هي قدوتهم ومع ذلك العنصرية تفتك فيها.

العرق الأبيض والعرق الأسود وما إلى ذلك.

حتى العنصرية على حساب كل القيم وكل المبادئ.

فهذه أمريكا وغيرها من البلاد، ممن اليوم يكون لهم، يعني يرى الناس لهم شأن ويريدون أن يقلدونهم في كثيرٍ من من أفعالهم وأقوالهم، هذه هي أمريكا تعج بالعنصرية والتمايز على أساس العرق واللون والمال والجاه وغير ذلك من أسباب التمايز التي لا وزن لها عند الله سبحانه وتعالى.

فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يعيننا على التواضع فيما بيننا، وأن يجعل ميزان القرب والمحبة عندنا، تقوى الله سبحانه وتعالى.

فمن كان أقرب وأتقى إلى الله سبحانه وتعالى فهو حبيبنا وقريبنا، ومن كان فاجرًا شقيًا أو كان بعيدًا عن تقوى الله سبحانه وتعالى، أو ضعفت عنده التقوى، فهذا بحسب تقواه يكون قربه ومحبته عندنا.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



